المحاضرة الأولى: جغرافية القطر الجزائري وطوبونيميتها.

أ. التاريخ:

لا بد من الوقوف والإلمام بمعنى كلمة التاريخ لغة، ودلالتها الاصطلاحية إذا ما أطلقت عند المؤرخين من السلف والخلف، لأن معرفة معاني هذه الكلمة لغة واصطلاحا، يدخل دخولا أوليا في فهم هذا العلم الجم، علم التاريخ الذي يعتن بأحوال الأمم ودولها، وتوثيق أخبارهم وانتشارهم وضبط تواريخ ولاداتهم ووفياتهم.

التاريخ لغة: هو الإعلام بالوقت والتاريخ، وهذا ما قاله الجوهري: «التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله، يقال: أرخت وورخت»[1].

ويؤكد الأصمعي، «أن لفظة التاريخ عربية أصيلة وليست معربة عن الفارسية كما ذهب إلى ذلك بعضهم»[2]

تعريف التاريخ اصطلاحًا:

هو فهم الماضي؛ لإفادة الحاضر، والتخطيط للمستقبل، وقد عبَّر السخاوي عن هذا المعنى بقوله: "إنَّه فنٌّ يُبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيف؛ بل عمَّا كانَ في العالم".

تعريف التاريخ عند ابن خلدون:

يُعرِّف ابن خلدون التاريخ بأنَّه في حقيقة أمره نظرٌ وتحقيقٌ؛ وتأمُّل ودراسة وفحص لمختلف أوجه النشاط البشريِّ فيما مضى من العصور؛ لرصد أسباب الظواهر التاريخيَّة المختلفة، ولكشف جوانب العلاقة السببيَّة في طيَّات الأحداث التاريخيَّة، ورصد بدايات الأحداث ومعرفة أصولها. كما يرى بأنه أداة للكشف عن صراعات المجتمعات البشريَّة، وما يترتَّب عليها من قيام الدول المختلفة ونشوء مراتبها.

عرف "ابن خلدون" المعنى العام للتاريخ والذي قال عنه هو ما كانت تداوله الأمم والأجيال وإدراكهم له كفن من الفنون الشعبية، واستقبالهم له كرواية شعبية، ويزيد فيها الرواة حتى تتراكم الأخبار وتضرب فيها الأمثال ويحكونه في أنديتهم واحتفالاتهم، حيث بهذا المفهوم يقول: **((فإنّ فن التاريخ من الفنون التي يتداولها الأمم والأجيال، وتشّد إليه الركائب والرّحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتساوى في فهمه الملوك والأقيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال ..... علم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق))**. لقد نظر ابن خلدون إلى علل الحوادث وأسبابها وحاول اكتشاف السنن التي تنتظمها، وأكد على بدايات الحوادث

---

[1] -الجوهري، الصحاح، مادة: أرخ(418/1).

[2] -علي محمد الصلابي، التاريخ الإسلامي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2007م، ص 15.

وقيام الدول وتعليل سقوطها، أما المقريزي المتوفى سنة (845هـ) فقد عرف التاريخ ببيان موضوعه بقوله **(الإخبارعما حدث في العالم في الزمان الماضي).**[1]

وأخيرا يمكن القول أن التاريخ علم نظري إنساني يبحث فيه عن حوادث الزمان من حيث التعيين والتوقيت والتفسيروالتعليل.

ج. الجزائر:

الموقع الفلكي والجغرافي للجزائر:

تقع بلاد الجزائر في شمالي غربي إفريقيا وتمتد بين خطي 19د و14د و37د شمالا من خط الاستواء، وخطي طول 2د غربي خط غرينيتش و8د شرقيه على الساحل. أما وسطها وعند خط عرض 27د شمالي خط الاستواء فتتسع البلاد عرضا وتمتد من خط طول 8د غربا إلى خط عرض 10د شرقا.

وتبلغ مساحتها حوالي 2.250.000 كم مربع مليونين ومائتين وخمسين ألف كيلومتر مربع، يشمل الإقليم الشمالي 262.400 كم مربع أي حوالي 15 بالمائة من المساحة العامة، ويشتمل الإقليم الجنوبي الصحراوي باقيها وهو 1.987.600 كم مربع أي حوالي 85 بالمائة من المساحة العامة.

يحدها من الشمال حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي، ومن الشرق بلاد تونس في الشمال، وصحراء ليبيا في جنوبها. ومن الجنوب بلدان النيجر وموريطانيا، ومالي. ومن الغرب مملكة مراكش وصحراء وادي الذهب (ريودورو). وهذه الحدود سياسية غير طبيعية ما عدا الحد الشمالي. أما الحدود الشرقية فقد وضعها الأتراك العثمانيون منذ أن سيطروا على شمالي إفريقيا في مطلع القرن السادس عشر خاصة بعد ان انفصل إقليم تونس عن نيابة الجزائر. ثم جددتها السلطات الفرنسية بعد الاحتلال ثلاث مرات. الأولى عام 1888م وضبطت فيها الناحية الشمالية ما بين الساحل شرقي في مدينة القالة إلى شط الغرسة بجهات الجريد. والثانية عام 1901م وضبطت فيها باقي المنطقة الجنوبية ما بين شط الغرسة ومدينة غدامس الليبية عند بئر الرومان. والثالثة عام 1919م وضبطت فيها حدود المنطقة ما بين غدامس وغات وهي المنطقة التي تتصل فيها الجزائر بليبيا وتعرف بإقليم فزان.

وأما الحدود الجنوبية فقد وضعها الفرنسيون عام 1909م وتمتد من إقليم فزان إلى صحراء وادي الذهب وعلى غرار الحدود الشرقية وضع الأتراك العثمانيون حدود الجزائر الغربية ما بينها وبين مملكة مراكش. ثم جددها الفرنسيون في عدة فترات مختلفة، فبمقتضى معاهدة لالة مغنية خططوا الأجزاء الشمالية ما بين الساحل وإقليم وجدة عام 1845م أثناء صراعهم مع عبد القادر. وفي عام 1902م خططوا منطقة أخرى جنوبها، وفي عام 1910 خططوا الحدود ما بين فيقيق وبوذنيب. وفي عام 1916م حددوا دائرة بشار وما وراءها إلى الصحراء.

وتشترك بلاد الجزائر مع تونس ومراكش في طبيعة الأرض وبنيتها ونظام سطحها والحياة النباتية وظروف المناخ. ومن هنا تكوّن هذه الأقاليم الثلاثة وحدة جغرافية طبيعية تتمثل في سلاسل الجبال الالتوائية

[1] - المرجع السابق، ص 16

الحديثة التي تساحل البحر حينا، وتبتعد عنه أخرى، وتتخللها سهول كثيرة بعضها واسع وبعضها ضيق، ومنها ما هو على شاطئ البحر وما هو بعيد عنه إلى الداخل.[1]

طوبونوميا الجزائر:

1-ماذا نقصد بطوبونوميا:

الطوبونيميا أو علم أسماء الأماكن هو الدراسة المتخصصة في أصل أسماء الأماكن ومعانيها وتاريخها. يتناول هذا العلم كيف تُطلق الأسماء على المواقع الجغرافية، مثل الجبال، الأنهار، المدن، والقرى، وكيف تتطور هذه الأسماء عبر الزمن وتتأثر بالتغييرات الثقافية والاجتماعية والسياسية.

كانت كلمة (ليبيا أو لوبيا) في التاريخ القديم تطلق على أقطار شمالي إفريقيا الأربعة؛ ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب الأقصى التي تسكنها عناصر وأقوام من البربر عاصروا الفرس، واليونان، والفينيقيين، والرومان، وغيرهم، وأسسوا لهم ممالك وحكومات وطنية مستقلة متعددة. ثم بطول الزمن وحدوث الخلافات والنزاعات فيما بينهم تغلبت عليهم بعض تلك الدول المعاصرة ومنها الرومان، وفي الفترة التي سيطر فيها الفينيقيون على هذه البلاد أطلقوا عليها كلمة **أفري** وعندما جاء الرومان أطلقوا اسم إفريقيا Afrique على إقليم تونس وحده ثم عمموه بعد ذلك على القارة كلها وصارت تدعى (قارة إفريقيا).

أما إقليم الجزائر الحالي فكان من بين قراه الهامة آنذاك (آرغل) التي حولها الفينيقيون بعد عدة قرون إلى ثغر بحري هاملاستقبال وتصدير مواردهم التجارية واتخذوها قاعدة للشحن والتفريغ، وحرفةا اسمها ودعوها (اكوزيم Ecosim) بمعنى جزائر الحمام. واحتقظ الرومان بعد ذلك بهذه التسمية مع شيء من التصحيف وصاروا يسمونها (إكوزيوم Ecosiom)

وأوضحت الروايات في اطلاق اسم الجزائر على هذه المدينة هو أنه كانت أمام شاطئها صخور كبيرة متجاورة تشبه الجزر في شكلها ووضعها الطبيعي ومنها تلك الصخرة التي بني عليها الاسبان قلعتهم المشهورة عام 1510م، فوصل ما بين تلك الصخور بالأتربة وضمت إلى بعضها وربطت بشاطئ المدينة بواسطة رصيف طويل وعريض وشيد في نهايته مركز عسكري مازال حتى اليوم يشهد بأهمية موقع المدينة. ومن يومئذ دعيت هذه القرية باسم مدينة الجزائر.

وفي حوالي القرن العاشر الميلادي استوطنت في مكان هذه الجزر وتلك الصخور قبيلة بني مزغنة احدى فروع قبيلة صنهاجة الكبيرة فنسبت تلك البلدة إليها، ودعيت (جزائر بني مزغنة) واحتفظت بهذا الاسم حتى فتح الأتراك العثمانيون هذه البلاد في مطلع القرن السادس عشر 1514م اختصرةا هذا الاسم وأطلقوا على المدينة اسم الجزائر، ومن ثم أصبحوا يسمون الإقليم كله باسم الجزائر.

[1] -يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر-الجزائر القديمة والوسيطة- ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009، ص 17

لقد تحدث جغرافيو اليونان القدماء وقسموا بلاد شمالي افريقيا الغربي الى خمسة أقسام هي:

1) **إقليم بونيقيا أو فينيقيا** ويشمل مدينة قرطاجنة وما حولها.
2) **إقليم نوميديا الشرقية (ماصيليا)** ويشمل غربي بلاد تونس الحالية وشرقي ولاية قسنطينة.
3) **إقليم نوميديا الغربية(ماصيصيليا)** ويشمل ولاية قسنطينة وولايتي الجزائر ووهران إلى وادي ملوية.
4) **إقليم موريطانيا** ويمتد من وادي ملوية إلى شواطئ المحيط الأطلسي.
5) **إقليم جيتوليا** ويشمل صحراء نوميديا بقسميها وموريطانيا

ولما جاء الفاتحون المسلمون أطلقوا على اسم المغرب على ما بين برقة شرقا والمحيط الأطلسي غربا، والبحر الرومي شمالا الصحراء الكبرى جنوبا. وقد سموه المغرب لوقوعه غرب وطنهم جزيرة العرب ثم قسم العرب المغرب إلى أدنى وأوسط وأقصى؛ وذلك بالنسبة لشرقهم.

.**المغرب الأدنى** هو ما بين برقة شرقا وبجاية غربا.

.**المغرب الأوسط** هو ما بين بجاية شرقا ووادي ملوية غربا.

.**المغرب الأقصى** هو ما بين ملوية شرقا والمحيط الأطلسي غربا.

عرفت الجزائر عبر تاريخها دول متعاقبة على أرضها منذ القدم بما تحمله تلك الدول من مؤسسات دستورية وعلاقات خارجية ودبلوماسية، ومما تميزت به أنها كانت تصهر الوافدين إليها وتقودهم إلى الانخراط في نسيجها الاجتماعي، إذ سرعان ما يختلطون بأهلها الأصليين ويتزاوجون منهم، ويصبحون جزءا من هذه البلاد، وخاصة بعد الفتح الإسلامي.

يجمع المؤرخون أن البربر أو الأمازيغ هم أصل سكان الجزائر خصوصا، وبلاد المغرب عموما، وقد حافظوا على شخصيتهم عبر القرون مع الفينيقيين والقرطاجيين (814 . 146 ق.م) والرومان (146 ق.م . 429 م) والوندال (429 . 534 م) والبيزنطيين (534 . 647 م) إلى أن توحدّت البلاد تحت راية الإسلام في دائرة العروبة في القرن السابع الميلادي.